**المحاضرة الثانية: إشكالات استشراقية حول الفلسفة الإسلامية**

من المعلوم أن العرب في شبه الجزيرة العربية قبل بزوغ فجر الإسلام لم يكن لهم علوم ولا علماء، وكانت الأمية هي السائدة عندهم. ولما اتسع الفتح الإسلامي وعظمت الخلافة الإسلامية توفرت شروط النهضة الحضارية وظهرت الفلسفة الإسلامية، وقد أثار بعض المستشرقين إشكالات حول هذه الفلسفة سواء من حيث الوجود أو من حيث التسمية.

**أولا: الفلسفة الإسلامية بين الإبداع والابتداع**

اختلفت وجهات النظر حول مدى أصالة التفكير الفلسفي الإسلامي في الإسلام، بين القائل أن الفلسفة الإسلامية امتداد للفلسفة اليونانية والقائل أنها إنتاج عقلي أصيل ينتمي إلى البيئة التي أصدرته.

فهل تعد الفلسفة الإسلامية مجرد استمرار للحركة الفلسفية عند اليونان أم أنها إنتاج عقلي أصيل ؟

هل الفلسفة الإسلامية دخيلة أم أصيلة؟

**الرأي الأول:** يرى مجموعة من الفلاسفة المستشرقين من بينهم "إرنست رينان" أن الفلسفة الإسلامية مجرد امتداد للفلسفات الأخرى ومن بينها اليونانية، حيث قال: "إن الفلسفة الإسلامية ما هي إلا فلسفة يونانية مكتوبة بأحرف عربية إسلامية" . ولقد أكد بعض الفلاسفة على أن العرب ليس لهم فلسفة، وما يعرفون إلا الأدب والشعر، وهذا ما أكده "هنري كوربان". و "فيكتور كوزان" و "ليون جوتييه" إلى أن الشعوب تنقسم إلى سامية وآرية، فالأولى أقل تركيبا – أي تتميز بالغباء – أما الشعوب الآرية تتميز بالعبقرية. ولهذا يقول "رينان": "أنا أول من عرف أن الجنس السامي إذا قوبل بالجنس الهندي الأوروبي يعتبر حقا تركيبا أدنى للطبيعة الإنسانية، فالروح السامية تمتاز بالوحدة والبساطة، أما الروح الآرية فإنها تمتاز بالكثرة والتعقيد".
ـــ حقيقة لقد تأثرت الفلسفة الإسلامية بالفلسفات الأخرى، ولكن هذه المرحلة الأولى أو الابتدائية، ولكنهم أبدعوا بعد ذلك فلسفة خاصة ومتميزة عن الفلسفات الأخرى. وما فكرة التمييز بين الأجناس إلا تفكير عنصري، وعلماء البيولوجيا قد أثبتوا بالأدلة العلمية بطلان الدعوى العنصرية، وإمكان وجود عنصر ذي خصائص ثابتة عبر التاريخ.

**الرأي الثاني:** يرى بعض الفلاسفة أن الفلسفة الإسلامية أصيلة نابعة من بيئتها ومن بينهم "روجي غارودي" و"زيغريد هونكة" اللذان يؤكدان أن المسلمين لهم فلسفة. وما يؤكد أقوالهم أن الفلسفة الإسلامية لها عوامل داخلية أدت إلى نشوئها وهما القرآن والسنة، حيث أن القرآن يحتوي على آيات تدعو إلى التفلسف وهذا في

قوله تعالى: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن..."(سورة النحل 125) ولهذا تضمن القرآن الكريم دعوة صريحة للتفلسف، أي التفكير والتأمل، وهي الدعوة التي نجدها في كثير من الآيات مثال ذلك قوله تعالى: "أو لم ينظروا إلى ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء"، وقوله: "فاعتبروا يا أولي الأبصار". ضف إلى ذلك أن المسلمين لم يبق الاعتماد والاكتفاء لديهم على القرآن والسنة فقط، بل اعتمدوا على الرأي (القياس والإجماع) لأن هناك جزئيات كثيرة ظهرت تتطلب من المسلمين أن يحكموا عليها، إما حسب العرف أو حسب إدراكهم وتصوراتهم وفهمهم للمعاني المختلفة (كالخير، العدل، الأخلاق) وغيرها من المسائل المعقدة في الحياة المتجددة.
ـــ لكن لا يمكننا إنكار أن الفلاسفة المسلمين قد احتكوا بالفلاسفة غيرهم وتأثروا بهم، نظرا لأن الإنسان لا يبدع من العدم، ولهذا اطلع المسلمون على الفلسفات الشرقية واليونانية وغيرها وتأثروا بها.
ـــ الفلسفة الإسلامية أصيلة وتأثرت بالفلسفة اليونانية، لأنها في البداية أخذت من الفلسفات الأخرى في المرحلة الأولى ثم انتقلت إلى مرحلة الإبداع والتجديد. وهذا من خلال أعمال "ابن رشد" في العلاقة بين الدين والفلسفة و"ابن خلدون" في علم العمران وغيرهم.

**استنتاج:** نستنتج أن الفلسفة الإسلامية هي امتداد وأصيلة في نفس الوقت، لأنها مرت بمرحلة النقل والترجمة ثم مرحلة الإبداع والتجديد، وتعتبر بذلك حلقة مترابطة لتاريخ الفكر الفلسفي ...

**ثانيا: فـــلســفــة إســلامــيــة أم فــلــســفــة عــربــيــة؟**

أيهما أدق في التسمية، الفلسفة العربية أم الفلسفة الإسلامية؟، هذا التساؤل طرحة الباحثون واختلفوا فيه، فمنهم من يقول فلسفة عربية، ومنهم من يقول فلسفة إسلامية.

**الرأي الأول: فلسفة عربية**

يرى أمثال موريس دي ولف، وإميل برهييه، ولطفي السيد أن الفلسفة عربية ، لأن كلمة «عربي» تنطبق على كل من يستخدم اللغة العربية سواء كان هنديًا أو تركيا أو فارسيًا.

ولقد اختار الدكتور عاطف العراقي أن يطلق عليها اسم الفلسفة العربية في كتابه «ثورة العقل في الفلسفة العربية»، ويرى الدكتور إبراهيم ياسين أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف أنّ المستشرقين أمثال كارلونلينو والذين اختاروا اسم الفلسفة العربية هم الذين اعتقدوا أنّ كلمة «عربي» تنطبق على كل من يستخدم اللغة العربية سواء كان هنديًا أو مصريًا أو سوريًا أو فارسيا.

**الرأي الثاني: فلسفة إسلامية**

رفض الدكتور علي سامي النشار تسميتها بالفلسفة العربية، وساق في ذلك أدلة منها أنّ الحديث عن فلسفة عربية يُخرج من نطاقها كثيرًا من المفكرين المسلمين، وقد كان الكثير منهم من الموالي والفرس الذين اعتنقوا الإسلام، كذلك أنّ كثيرًا من الأجناس التي اعتنقت الإسلام قد أدخلوا عليه تصوراتهم الخاصة، وحاولوا أن يصوروه بصورة أديانهم السابقة، كذلك الإسلام هو الذي حدد طبيعة البحث الميتافيزيقي الإسلامي.

ويلاحظ المستشرق هنري كوربان أنّ الأخذ بفلسفة عربية أمر خاطئ جدًّا يجعل مجال الفلسفة الإسلامية ضيقًا للغاية، وإلا أين نضع الكثير من الفلاسفة والمفكرين من الفرس ومن غيرها من البلدان الإسلامية الذين أثروا المكتبة الإسلامية؟.

وكذلك يعارض بعضهم كما يخبرنا الدكتور علي النشار، القول بفلسفة عربية، ويرون أنّه عنوان غير ملائم؛ أولا لأنّ المشتغلين بهذه الصناعة لم يكونوا جميعًا من العرب، بل كان معظمهم من الفرس، أو من مصر ووسط آسيا والأندلس والهند. ومع أنّ نسيج هذه الفلسفة كُتب بالعربية، فقد استخدمت لغات غيرها كالفارسية وغيرها، واعتبار أهم من ذلك هو أنّ الفلسفة نشأت من حاجة الإسلام إلى الجدل الديني،

واهتمت بتوطيد دعائم العقيدة، أو التماس أساس فلسفي لها، ولا يمكن اعتبارها نقدية أو مستقلة، لأنّها دارت حول الفكر الديني، وأما اليهود وأصحاب الاعتقادات الأخرى الذين كتبوا مؤلفات فلسفية نقدية متأثرة بالإسلام فينبغي إدخاله في جملة الفلسفة الإسلامية.

**استنتاج:**

الواقع أنّ المصطلحات ليست أزمة في ذاتها ، بل الأزمة حين يكون الدافع وراء الجدل حول المصطلح هو دافع القومية، أو دافع العنصرية، فحين يحاول العربي الدفاع عن مسمى فلسفة عربية، بسبب نزعة قومية يريد بها أن يثبت لعرقه إمكانية التفكير الفلسفي والقدرة عليه، ويجعله ذلك يبتعد عن موضوعية البحث العلمي الذي لا يعرف المجاملة، وحين يحاول غير العربي أن ينزع من الجنس العربي أي إمكانية للتفكير في العقل، والنظر الفلسفي، مشحونًا بنظرة عنصرية، هنا تكمن الأزمة.

وأيًا يكن من الأمر في هذا الجانب فقد اصطلح فلاسفة الإسلام أنفسهم على إطلاق ألفاظ مثل الفلسفة الإسلامية، وفلاسفة الإسلام، والفلاسفة المسلمين، على الفلسفة التي اشتغل بها المسلمون من العرب وغيرهم، وبما أنّ القاسم المشترك الأعم الذي يجمع العرب وغيرهم في الحضارة الإسلامية هو الإسلام، كان الأكثر دقة تسمية الفلسفة بالفلسفة الإسلامية نسبة إلى الحضارة الإسلامية، ونسبة إلى تأثرها بالدين الإسلامي وتأثيرها فيه.